

منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد إعداد:

د. علي بن عبدالله القرني

د. علي بن عبدالله القرني

- الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصل على درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: (الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها)
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: (كتاب العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) من أول الكتاب إلى نهاية باب ما جاء في كثرة أمة سيدنا محمد ﷺ ومن يدخل الجنة بغير حساب - دراسة عقدية -)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتلقي عند أهل السنة والجماعة وهذه ميزة امتازوا بها على سائر الفرق والطوائف، وليست مجرد دعوى يرددونها ويزعمونها بل هي عقيدة يدينون الله بها ويتعبدون له بذلك.

والرد على المخالف لمنهجهم القويم، وصراتهم المستقيم، جهاد أمرهم به ربهم تعالى، ورفع لوائه نبينهم - صلى الله عليه وسلم -، وسار من ورائه أئمتهم الكرام في سائر الأمصار ومختلف الأزمان فحموا حوزة الدين وذبوا عنه ضد كل ضال مضل أثيم، وهذا بحث متواضع في هاتين القضيتين المهمتين حاولت فيه إظهار معالم القضية الثانية ورسم منهجها من خلال القضية الأولى.

فكانت هذه الورقات المعدودة هي حصيلة هذه المحاولة المتواضعة، وجعلت عنوانها (منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد).

أسباب اختيار الموضوع :

- ١- إبراز منهج القرآن الكريم (المصدر الأول للتلقي عند أهل السنة والجماعة) في الرد على المخالفين، لالتزامه والسير على هداه .
- ٢- لأنني حسب علمي المحدود لم أقف على كتابة متخصصة مستقلة فيه^(١)

(١) وقفت بعد انتهائي من البحث على عنوان حول هذا البحث وهو: "منهج القرآن الكريم

مع الحاجة الماسة لذلك في هذا العصر الذي كثرت فيه الآراء والردود
وأسأل الله تعالى أن يقيض له علماً من العلماء الأجلاء ليسد هذه الحاجة
ويفيد فيها.

ولكون جوانب هذا الموضوع كثيرة جداً فإني لم أتعرض لها كاملة في
هذا البحث المختصر وإنما اخترت ما تيسر من تلك الجوانب، ولم أسهب
فيها لأن بعض هذه الجوانب جدير بأن يكون بحثاً مستقلاً بذاته.
وقد سرت في هذا البحث وفق الخطة التالية:

المقدمة - وهي ما نحن بصدده الآن -.

الفصل الأول: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أهمية الرد على المخالف.

الفصل الثاني: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: بعض المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم في مسائل
الاعتقاد.

الخاتمة.

الفهارس.

= في الرد على اليهود والنصارى "د/ نادية الشرقاوي ولم أطلع على مضمونه.

أما المنهج الذي سرت عليه في إعداد هذا البحث فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث استقرأت القرآن الكريم وجملة من تفاسيره والكتب المصنفة في علومه الأخرى لاستخراج الطرق والأساليب والوسائل التي استعملها القرآن الكريم في رده على المخالفين. وقد وضعت لكل أسلوب أو طريقة منها عنواناً يعبر عنها، وذكرت تحت كل عنوان الشاهد عليه من الآيات، ثم أذكر كلام العلماء الذي ينص على دلالة الآية على ذلك الأسلوب أو الطريقة.

أما صياغة البحث فقد سلكت فيها المنهج العلمي المتبع في ذلك ومنه:

- ١- عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها.
 - ٢- تخريج الأحاديث التي ترد في البحث وذكر كلام العلماء في بيان درجتها إن لم تكن في الصحيحين.
 - ٣- وثقت كلام أهل العلم الذي أورده في تفسير الآيات من مصادره.
 - ٤- لم أترجم للأعلام طلباً للاختصار.
 - ٥- أخرجت بيانات المراجع إلى فهرس المراجع.
- وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون وفقته فيما سطرته في هذا البحث للحق والصواب.
- والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أهمية الرد على المخالف.

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث

المنهج: (النهج) الطريق الواضح، يقال طريق نهج بين واضح، والمنهاج كالمنهج، ونهج: كمنع ووضح. وأوضح الطريق: سلكه. وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً. ونهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه.

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وفي الحديث: "لم يمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى ترككم على طريق ناهجة"^(١). أي واضحة بينة. ونهج الأمر وأنهج لغتان. إذا وضح^(٢).

ومن خلال هذه التصاريف لكلمة (منهج) يتبين أن المنهج هو الطريق الواضح المستبين المؤدي إلى المقصود والمراد. والطريق المقصود في العنوان هو: الطريق الذي سلكه القرآن الكريم، وهو الطريق الذي سنّه الله تعالى لعباده في شؤون حياتهم جميعاً. ولما كانت هذه الأمة مأمورة باتباع منهج القرآن الكريم في جميع شؤون الحياة فُيَد هذا البحث بالرد على المخالف حتى يتبين المراد والمقصود بالحديث عن منهج القرآن الكريم في هذا البحث.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: ٥ / ٤٣٤.

(٢) لسان العرب: مادة (نهج) ٦ / ٤٥٥٤، والقاموس المحيط: باب الجيم فصل النون: ص

القرآن الكريم :

اختلف العلماء في المراد بالقرآن في اللغة: فقال جماعة هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله، وقال آخرون: هو مصدر قرأ، زيدت فيه الألف والنون كما زيدت في الغفران والرجحان، واختلف فيه فقيل: إنه مصدر بمعنى اسم المفعول بمعنى القرآن المقروء أي المظهر المبرز أو المتلو، وقال آخرون - أيضاً - : إنه مصدر بمعنى اسم الفاعل، فالقرآن بمعنى القارئ أي جامع ثمرات الكتب المتقدمة. وحاو لكل ما فيها من العلوم والمعارف.

ولا مانع من حمل كلمة القرآن على المعنيين لكونه جاء ليقرأ ويتلى وتظهر للناس أحكامه وتعاليمه، وأنه جاء أيضاً جامعاً لثمرات الكتب المتقدمة فقصره على أحد المعنيين لا بد له من دليل^(١).

هذا من حيث اللغة، أما من حيث المعنى الشرعي للقرآن الكريم فهو: كلام الله تعالى "سوره وآياته وكلماته. تكلم به بحروفه ومعانيه. ولم يُنزله على أحدٍ قبل محمد - صلى الله عليه وسلم - أسمعته جبريل عليه السلام، وأسمعته جبريل محمداً - صلى الله عليه وسلم -، وأسمعته محمد - صلى الله عليه وسلم - أمته، وليس لجبريل ولا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا التبليغ والأداء وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الذي في المصاحف، يتلوه التالون بألسنتهم، ويقرؤه المقرئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بأذانهم، وينسخه النساخ، ويطبعه الطابعون بالآلاتهم، وهو الذي في صدور

(١) تفسير الطبري: ١/ ٦٧-٦٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/ ٣٣٩-٣٤١.

الحفاظ، بحروفه ومعانيه، تكلم الله به على الحقيقة، فهو كلامه على الحقيقة لا كلام غيره، منه بدأ، وإليه يعود، وهو قرآن واحد منزل، غير مخلوق، كيفما تصرّف: بقراءة قارئ، أو بلفظ لافظ، أو بحفظ، حافظ، أو بخط كاتب، وحيث تُلي، وكتب، وقرئ، فمن سمعه فزعم أنه مخلوق فقد كفر" (١).

الرد: صرف الشيء ورجعه والرد مصدر رددت الشيء، ورده عن وجهه يرده رداً ومرداً وترداداً: صرفه، ورده عن الأمر ولده أي صرفه عنه برفق.

ورده عليه: لم يقبله وخطأه. والارتداد: الرجوع (٢).

وفي المفردات، الرد: صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله.

يقال: رددته فارتد، قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ

الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، فمن الرد بالذات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا

لِمَا هُمْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله:

﴿يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

والارتداد والردة الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الردة تختص

بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره (٣).

(١) العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية: ٨٠.

(٢) انظر: القاموس المحيط، بال الدال فصل الرء: ٣٦٠.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن: ١٩٢.

والمراد بالرد في عنوان هذا البحث:

إبطال القرآن الكريم للآراء والدعاوى المخالفة للحق مع بيان فسادها وضلال القائلين بها.

المخالف: المخالف اسم فاعل من خالف يخالف فهو مخالف، وأصل هذه الكلمة من "خلف" وله معانٍ عدة أكتفي منها بخمسة، وهي:

١ - التغيير:

"يقال: خلف الرجل عن خلق أبيه يخلف خلوفاً: إذا تغير عنه"^(١).
ويقال: خلف فم الصائم خلوفاً: إذا تغيرت رائحته، وخلف اللبن والطعام إذا تغير طعمه أو رائحته"^(٢).

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: "قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، فوالذي نفسي محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك"^(٣).

٢ - النقيض:

فالخلف: نقيض الوفاء بالوعد والإخلاف: أن لا يفي بالعهد. وأن يعد الرجل العدة فلا ينجزها، ورجل مخلاف كثير الإخلاف لوعده، ويقال للذي لا يكاد يفي إذا وعد: إنه لمخلاف، ورجل مخالف: لا يكاد يوفي

(١) لسان العرب: ٩٣/٩.

(٢) انظر: المصباح المنير: ١/١٧٨ ولسان العرب: ٩٢-٩٣/٩.

(٣) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم: ٢/٢٢٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام ٢/٨٠٦، رقم ١٦١.

بوعده، والاسم من ذلك الخُلف بالضم^(١).

٣- العصيان:

يقال: "خالفه إلى الشيء: عصاه إليه، أو قصده بعدما نهاه عنه"^(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]. أي لست أنهاكم عن شيء وأرتكبه كما لا أترك ما أمرتكم به.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣].

وفي لسان العرب: "خلف فلان بعقبى: وذلك إذا ما فارقه على أمر ثم جاء من ورائه فجعل شيئاً آخر بعد فراقه"^(٣).

٤- عدم الاتفاق:

يقال: "تخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"^(٤).

ومنه الخلفة واللجوج.

"وتخالف الأمران واختلفا أي لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف"^(٥).

وقيل: سمي شجر الصفصاف بشجر الخلاف، لأنه نبت مخالفاً لأصله^(٦).

(١) انظر: لسان العرب: ٩٤/٩.

(٢) المصدر السابق: ٩٠/٩.

(٣) المصدر السابق: ٩٠/٩.

(٤) المصباح المنير: ١٧٩/١.

(٥) لسان العرب: ٩١/٩.

(٦) انظر: المصدر السابق: ٩٧/٩.

٥ - المضادة:

يقال خالفه إذا ضاده، ومنه قولهم في المثل:

إنما أنت خلاف الضبع؛ لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه^(١).
وفي المفردات: "الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير
طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأن كل ضدين
مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول
قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ﴾ [مريم: ٣٧]. وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]. وقوله:
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٧٦]، قيل: أتوا فيه بشيء خلاف
ما أنزل الله^(٢).

هذا من حيث اللغة - وهو بعض من معاني هذه الكلمة - أما في
الاصطلاح: فعلى ضوء ما توفر لدي من اجتهادات حول تعريفه - أقول
والله تعالى أعلم بالصواب - .

المخالف هو: من اعتقد أو قال أو فعل ما يصاد أو يغاير أو يناقض
الدليل الصريح الصحيح أو الراجح أو الأولى.

وهذا التعريف - في نظري - هو الذي يؤدي المراد بالمخالف. والله

أعلم.

(١) انظر: المصدر السابق: ٩ / ٩٠.

(٢) المفردات: ١٥٦.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم

سبب الاقتصار على منهج القرآن الكريم دون سائر المناهج المخالفة

له، ما يلي:

١ - الأدلة الكثيرة الواردة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في الأمر بالالتزام بالقرآن الكريم، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بِيكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

- قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٥٥) ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (١٥٦) ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧].

- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

- قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وغير ذلك من الآيات كثير جداً.

ومن الأدلة الواردة في السنة ما يلي:

- قوله - صلى الله عليه وسلم - "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله..."^(١).
- قوله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً"^(٢).
- قوله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها..."^(٣).
- ما ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه خط يوماً خطأً ثم قال: "هذا سبيل الله، ثم خط خطأً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٨٩٠/٢، رقم ١١٢٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب الوحي باب ذكر نفي الضلال عن الأخذ بالقرآن ٣٢٩/١، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب فضائل القرآن باب في التمسك بالقرآن ١٢٥/٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٦٩: "رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢، رقم ٨٦٧.

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ
وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣] ^(١).

- وفي الحديث سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه ستكون فتن، فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تختلف به الآراء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم" ^(٢).
- قال شيخ الإسلام - ابن تيمية - بعد ذكره لهذا الحديث: "وفي ذلك بيان أن كل علم دين لا يطلب من القرآن فهو ضلال..." ^(٣).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر ٢/ ٢٦١، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه ١/ ١٨٠، وأحمد في مسنده ٧/ ٢٠٧، حديث رقم ٤١٤٢، وابن أبي عاصم في السنة ص ١٣، وحسنه الألباني في تحقيقه لها، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٨٠، وحسنه الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن: ٥/ ١٧٢، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال، والدارمي في سننه كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن: ٢/ ٥٢٦، والبزار في مسنده: ٣/ ٧٢، والبيهقي في شعب الإبان ٢/ ٣٢٦.

(٣) الاستقامة: ١/ ٢٠.

وطلباً للاختصار أكتفي بهذا القدر اليسير مما ورد في القرآن والسنة من الأمر باتباع القرآن والالتزام به.

٢- أن السلف متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب وهو أعلى منها درجة، وهيمنته عليها من وجوه متعددة منها: أنه شاهد بصدقها وبكذب ما حرف منها، ومعجز في نفسه لا يقدر الخلائق أن يأتوا بمثله، وفيه من ضرب الأمثال وبيان الآيات على تفصيل ما جاء به الرسول ما لو جمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن عندهم إلا بعض ما جاء به القرآن ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابتها إلى نبي آخر ولا كتاب آخر فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه عن غيره، سواء كان من علوم النقل أو علوم العقل^(١).

٣- أنه لما نزل القرآن الكريم تباينت منه مواقف الناس، واختلفت اتجاهاتهم مع قصدها جميعاً النيل من قداسته، والإساءة إليه، وهذا يجعلنا نحرص على معرفة منهجه في التعامل مع هذه الاتجاهات والمواقف المتباينة لتتخذ منه منهجاً نسير عليه في سائر مواقفنا مع المخالفين، لاسيما وأن العقل البشري يتطلع دائماً إلى قوة الإقناع عن طريق الحجة والبرهان والعلم^(٢).

٤- لأن طريقة القرآن الكريم في الاستدلال والإقناع أولى وأبلغ، ولو سُوِّغ لناظر أن يعارض هذه الطريقة برأيه ومعقوله لما كان هناك أمر مضبوط

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٤٣/١٧-٤٥.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٦.

يحصل له به علم ولا هدى، بل سيقع فيما يوجب حيرته وشككه، ولن يظفر بيقين يطمئن إليه، ولا معرفة يسكن بها قلبه، وقد أخبر بهذا الفخر الرازي وهو ممن جرب المسالك العقلية المخالفة لطريقة القرآن فقال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن الكريم، اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِءَ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي^(١).

ولهذا لا يعرف في قديم الزمان ولا حديثه أن أحداً أقام دليلاً صحيحاً وحجة قاطعة يعارض بها أدلة القرآن الكريم وحججه، بل لم يذكروا إلا ما يدل على عجزهم وانقطاعهم.

٥- لأن من تأمل القرآن الكريم وتدبره اطلع فيه "من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة وذكر النقض والفرق المعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه"^(٢).

٦- لأن القرآن الكريم لم يخضع يوماً من الأيام لقواعد وضعها البشر، فلم يلتزم طريقة المناطقة والمتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج، بل

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٤٦/١٧، منهج الجدل والمناظرة: ٣٨١/١.

(٢) بدائع الفوائد: ٤٣٠/٢.

جاء بلسان العرب وطريقتهم في التخاطب، فطريقته تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير، ووضوح التعبير وسلامة التركيب دون إخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية وتدفع بالعقول إلى النظر، دون ارتباط بالاصطلاحات المنطقية الفلسفية المعقدة.

والقرآن الكريم يرشد المخالف إلى العقل الصريح؛ لأن العقل هو أغلى ما يفاخر به من يناظر ويجادل، والقرآن لا يخشى نتائج العقل لأنها دائماً - إذا كانت صحيحة صريحة - لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، ولذلك أمر القرآن الكريم في نصوص كثيرة بإعمال الفكر والنظر.

وعناية القرآن واشتماله على الأدلة العقلية الصريحة جعلته حجة على كل الناس، لاسيما الذين غلبت عليهم الدراسات العقلية والفلسفية^(١). يقول الزركشي: "القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وأنه ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد ينبئ عن كليّات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أوردته على عادة العرب دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ۗ

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۗ ﴾ [إبراهيم: ٤].

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل

(١) مناهج الجدل: ١٠٥، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٨٢ - ٣٩٣.

من الكلام" (١).

٧- لأن "الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس دون عمل فكري عميق أقوى أثراً وأبلغ حجة، وقد اشتملت أدلة القرآن الكريم وبراهينه على ما فطرت عليه النفوس، وما تشهد بصحته العقول دون إخلال بأحكام الحجة وروعة البيان وسلامة المنطق، فهو في تناول الخاصة والعامة يأتي من الحقيقة البرهانية بما يرضي العقول، ومن المتعة الوجدانية ما يهز القلوب ويحرك المشاعر. فالقرآن الكريم في استدلاله يفتح أمام العقل البشري آفاقاً من الحكم والعظات ويدخل على القلب أنواعاً من الأحاسيس الوجدانية من تشويق وترقيق وتحذير وتنفير وتهويل وتعجب، وإنك لتلمس ذلك في مطالع سورة وآياته (٢).

قال تعالى: ﴿مَثَانِي نَقَّشِعْرُمْنُهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۗ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

٨- أن القرآن الكريم "يستهدف الحقائق في ذاتها، ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الأمور المعينة مثل الأمور الغيبية كقصة نوح وخطابه لقومه وأحواله المعينة، وإبراهيم مع قومه وأحواله المعينة، ومثل موسى وعيسى وأحوالهما المعينة، وليس شيء من ذلك يمكن أن

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٤.

(٢) مناهج الجدل: ١٠٦-١٠٧.

يعرف بالقياس لا البرهاني ولا غيره" (١).
فالقرآن الكريم في رده على المخالف إذا أراد إفحامه وإلزامه فعل ذلك بأقرب الطرق وأقواها إلزاماً وإفحاماً.

٩- لأن القرآن الكريم تعامل مع كل مخالف بما يتناسب مع حالته العلمية والاعتقادية، والأصل في هذه المعاملة أن تكون بالتي هي أحسن، ولا يعدل القرآن عنها إلا إذا كان المخالف "لم يصغ للحق ولم يستخدم عقله فيما يلقي إليه من بيان معزز بالبراهين والحجج ولعل ذلك يفهم من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] (٢).

فالغالب في القرآن الكريم مجادلة المشركين "جدل هداية ودلالة، وقد يشتمل على تخطئة بعض مزاعمهم، بينما يكون جدل القرآن مع أهل الكتاب جدل تخطئه وإلزام لأنهم على علم. أما جدل القرآن مع المنافقين فتبدوا عليه سمات الشدة والقسوة مصحوباً بالتهديد والوعيد" (٣).

ولا بد من العلم بأن القرآن الكريم مع رده على كل مخالف بما يتناسب معه، فإنه "لا يُذكر فيه مخاطبة كل مبطل بكل طريق، ولا ذكر كل ما يخطر بالبال من الشبهات وجوابها، فإن هذا لا نهاية له ولا ينضب، وإنما يذكر الحق والأدلة الموصلة إليه لذوي الفطر السليمة... فإن مثل هذا الكتاب

(١) مناهج الجدل: ٤٢٩، ومنهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: ١/ ٣٨٥.

(٢) مناهج الجدل: ٤٣٣.

(٣) المصدر السابق: ٤٣٣، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٩٣-٣٩٦.

العزیز لا یلیق أن یدکر فیہ من الطرق ما یثقل علی جمہور الخلق ویسترکونہ ویعدونہ لکنہ وعیاً لا یحتاج إلیہ، ویرونہ من باب إیضاح الواضحات...^(١).

١٠ - ما امتاز به القرآن الکریم من ضم للأدلة، بعضها إلی بعض فتجد "فی الآیة الواحدة أو فی عدد من الآیات المتتابعة عدداً من الأدلة کلها تدل علی مدلول واحد ولا شک أن هذا الأمر یعطي الدلیل قوة، ویزید المدلول تأکیداً"^(٢).

ویزید فی سبل الإقناع وضروب الهدایة حتی یوافق مشارب الناس علی تباين مقاصدهم وتفاوت مدارکهم، فتجد کل طائفة منهم فی القرآن ما یقنعها أو یرشدها أو یقطعها، وهذه المیزة مفقودة فی ما سوی منهج القرآن الکریم وطریقته.

١١ - لأن منهج القرآن الکریم یربط بین العقیدة والعمل "وهذه الصفة لا توجد فی المناهج الوضعیة التي تهدف إلی مجرد التصدیق والإقناع والانتصار علی الخصم، وطریقة القرآن لا تکتفی بذلك، بل تطلب لازم الإیمان والتصدیق وهو العمل والعبادة لأن النفس لا تکمل بالعلم وحده إن لم یتبعه العمل"^(٣).

قال ابن تیمیة - رحمه الله - : "مفارقة الطریقة القرآنیة الکلامیة، أن الله

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٨ / ٨٨-٨٩.

(٢) عقیدة التوحید فی القرآن الکریم: ٣٢٩، منهج الجدل والمناظرة: ١ / ٣٩٠.

(٣) عقیدة التوحید فی القرآن الکریم: ٣٤٣.

أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحتها، وغايتها، ونهايتها، لم يقتصر على مجرد الإقرار به، كما هو غاية الطريقة الكلامية....، فالقرآن أخبر بالعلم به والعمل له، فجمع بين قوتي الإنسان العلمية والعملية: الحسية والحركية، الإرادية الإدراكية، والاعتدائية: القولية، والعملية" (١).

١٢ - لأن منهج القرآن الكريم قائم على نفي كل شبهة وغش حول العقيدة فهو يفصل فصلاً تاماً بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، بخلاف ما سوى القرآن من المناهج التي تثير الشبه لاحتمالها أكثر من معنى (٢).

يقول ابن القيم معلقاً على قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِمَ

فِي رَبِّهِ ءَ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَهِمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبرَهِمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ [البقرة: ٢٥٨]. "فتأمل هذا الكلام وعجيب موقعه في قطع الخصوم، وإحاطته بكل ما وجب في العقل، وأخذه بمجامع الحججة التي لم تبق لطاعن مطعنًا ولا سؤلاً" (٣).

١٣ - لتضمن القرآن الكريم "بشكل لا يرقى إليه شك أصول المبادئ المنهجية العلمية في البحث والتفكير، استمدتها العلماء المسلمون فدونوا في مؤلفاتهم وصفاً دقيقاً لها واعتمدوها في بحوثهم" (٤).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٢/٢.

(٢) انظر: عقيدة التوحيد: ٣٤٥.

(٣) الصواعق المرسلية: ٤٨٩/٢.

(٤) أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: ٦١.

قال شيخ الإسلام - ابن تيمية - : " اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة، التي توجد في كلام جميع العقلاء من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم... ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال" (١).

١٤ - ما ورد في القرآن الكريم من أسس ومبادئ المنهج الاستقرائي والمنهج الاستدلالي. وقد نصبت على هذين المنهجين بسبب تعني الغرب بهما وادعائهم السبق إلى اكتشافها (٢).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢/٤٦ - ٤٧.

(٢) أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: ٦٢.

المبحث الثالث: أهمية الرد على المخالف

إن الرد على المخالف له أهميته العظمى في الإسلام، لاسيما وقد انتهجه القرآن الكريم، ومُلائت به السنة الشريفة، وقام به علماء الإسلام على مر العصور، لحماية جناب هذا الدين الحنيف والذب عنه. والكلام حول هذه الأهمية جدير بأن يكون بحثاً مستقلاً لا مبحثاً ضمن هذا البحث المتواضع^(١).

وحسبي هنا الإشارة إلى بعض الشواهد والأمثلة - من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأفعال علماء الأمة وأقوالهم - الدالة على اهتمام هذا الدين العظيم وعلمائه بالرد على المخالف، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: القرآن الكريم:

لقد دلّ القرآن الكريم على أهمية الرد على المخالف من خلال آيات كثيرة جداً يمكن حصرها تحت ثلاثة أوجه رئيسة:
الوجه الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ

(١) من الكتابات المعاصرة حول أهمية الرد على المخالف:

أ- الرد على المخالف من أصول الإسلام، للشيخ د/ بكر أبو زيد - رحمه الله -.

ب- الحوار أصوله المنهجية وأدابه السلوكية، للشيخ أحمد الصويان.

ج- فقه التعامل مع المخالف، للشيخ عبد الله الطريقي.

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿ [النحل: ٣٦-٣٩].

"فإن قوله - سبحانه - ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَقَدْ

بَعَثْنَا ﴾ ، - على أحد التفسيرين - فيكون المعنى (بعثناه ليبين لهم الذي يختلفون فيه)... فيبيان الخلاف بإظهار الحق من الباطل: مقصد عظيم من مقاصد بعثة الرسل؛ لتزول عن الأمة غشاوة الخلاف الطائش، والاختلاف الجائر" (١).

الوجه الثاني:

أن الرد على المخالف سبب رئيس من أسباب نزول القرآن الكريم مفرقاً ومنجماً، فقد سمى الله سبحانه وتعالى الشبه التي أوردتها الكفار أمثالاً فقال تعالى لنيبه - صلى الله عليه وسلم - ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨]. ثم بعد هذه التسمية قال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣].

ومعنى قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بحجة وشبهة ﴿ إِلَّا

جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي: ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقاتلهم (٢).

(١) الرد على المخالف: ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١١٨/٦.

فتبين أن القرآن نزل مفزقاً ليرد على أقوال المخالفين المعارضين وعلى شبههم.

الوجه الثالث:

ما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي ذكرت الجدل والمحااجة بين الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وبين أقوامهم، وأيضاً الآيات التي أشارت إلى آداب المجادلة والمحااجة أو ما حصل من الحوارات في الأمم السابقة - أي غير ما حصل بين الأنبياء وأقوامهم - وأيضاً ما رد الله به على شبه الكفار وأهل الكتاب وغيرهم من أهل الضلال. ومن الآيات التي تدل على ما سبق ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لُقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١١ - ١٥].

٢- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ

مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ قَالَ كَمِ لَيْثٌ قَالَ لَيْثٌ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَل لَّيْثُكَ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۗ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۗ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۗ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ۗ قَالَ أُولَئِكَ ثُبُورٌ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۗ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٥٨ - ٢٦٠].

٣- قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ ۗ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ ۗ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٨].

٤- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا ۗ أَلَا نُوْمِنُ لِرِسُوٰلِ حَتَّىٰ يَأْتِنَا بِسُرْيَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ۗ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ

رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨١﴾ [آل عمران:
١٨١ - ١٨٤].

٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَعْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦٤﴾ [المائدة:
١٦٤].

٦- قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٣].

٧- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿ [الأنعام: ١٤٨-١٥٠].

٨- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَهُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ... إلى قوله:

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٩-٩٥].

وقد حوت هذه الآيات قصص عددٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما حصل مع أقوامهم خلال دعوتهم لهم، وقد حوى المقطع ردوداً صريحة منهم على اتهامات أقوامهم.

٩- قوله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

هَمَّ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ

سِوَاهُ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أِذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ

كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى

الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا

أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ

إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین﴾

[الأعراف: ١٩١-١٩٩].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوتَ ﴿٣٠﴾
اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿التوبة: ٣٠-٣١﴾.

١١- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ
الْأُمُورَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ
يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبَّعَ أَمَّن
لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَّ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا
ظَنًّا إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا
الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ
يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ
بَرِيْعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿يونس: ٣١-٤١﴾.

١٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ... إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ٢٥-١٠٠].

وفي هذه الآيات أيضاً ذكر لحال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم وردهم عليهم.

١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

١٤- قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٥- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا إِلَهُةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٤﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلَوْا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢-٤٣].

١٦- قوله تعالى: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِجَمَدِهِمْ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨-٥٢].

١٧- قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
يَتَّابِتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢﴾ يَتَّابِتْ إِنِّي قَدْ
جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣﴾ يَتَّابِتْ لَا
تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ
عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمُ الْبَنُونَ لِمَ تَدْعُوهُمْ لِأَكْرِمَتِكُمْ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا ٤٦﴾ قَالَ
سَلِّمْ عَلَيْهِمْ سَاسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿

[مریم: ٤١-٤٨].

١٨- قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿[الأنبياء: ٢٢].

١٩- قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذَىٰ لَذَهَبَ
كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿

[المؤمنون: ٩١].

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ
﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي
جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ
﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ
الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿[يس: ٧٨-٨٣].

٢١ - قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ أَلَمْ يُكْفَرُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلُوبَنَا إِنْ أَفْتَرَيْنَاهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَنَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُافٍ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾]الأحقاف: ٤-١٢[.

وغيرها من الآيات في الكتاب العزيز كثير جداً، ولكن ما سبق ذكره يدل مع الوجهين السابقين على اهتمام القرآن الكريم بالرد على المخالف إما تأصيلاً كما سبق في الوجهين الأولين وإما الرد عملياً - إن صح التعبير - من خلال ما ذكر في الوجه الثالث من الآيات.

ثانياً: السنة النبوية:

دلّت السنة المطهرة على أهمية ومشروعية الرد على المخالف بجميع أنواعها: سواءً السنة القولية أو الفعلية أو التقريرية، وسأذكر هنا نماذج منها فقط من غير حصر ولا توسع:

- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ... الحديث" (١).

- عن سعد بن أبي وقاص قال: "ردّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عثمان ابن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصنا" (٢).

- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (٣).

وهذا الحديث أصل عظيم في هذا الباب، وبه أختتم ما يتعلق بدلالة السنة على هذه القضية.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ٥٢/٨، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٤/٢، رقم ١٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء ١١٨/٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور ١٦٧/٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣، رقم ١٧١٨.

ثالثاً: أقوال الصحابة ومواقفهم:

سار الصحابة - رضي الله عنهم - على ما رسمه المصطفى - عليه الصلاة والسلام - في هذه القضية سواءً بقوله أو فعله أو تقريره. وما ورد عن الصحابة - رضوان الله عليهم - في هذا الباب كثير جداً، ويصعب حصره في هذا المقام، لذا سأكتفي ببعض النماذج مما ورد عنهم - رضي الله عنهم - من الرد على المخالفين، ومن ذلك:

١ - ما حدث في عهد عمر - رضي الله عنه - مع صبيغ بن عسل التميمي: "عن نافع أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص، إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال أين الرجل؟ قال في الرحل، قال عمر أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجهة، فأتاه به فقال عمر: تسأل محدثة، فأرسل عمر إلى أرتاب من الجريد فضربه بها حتى ترك ظهره خبزة، ثم تركه حتى برىء ثم عاد له ثم تركه حتى برىء فدعا به ليعود له فقال له صبيغ إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً وإن كنت تريد تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب أن قد حسنت هيئته فكتب إليه عمر أن يأذن للناس يجالسونه" (١).

٢ - لما أخبر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن رجل يكذب

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح: ٦٣.

بالقدر، قال: دلوني عليه - وهو يومئذٍ أعمى - فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: "والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبتة بيدي لأدفنها"^(١).

٣- عن عمرو بن سلمة الهمداني قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصي، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظر رأيك، قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا يا أبا عبد الرحمن حصي نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمّة محمد ما أسرع هلكتكم!

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي: ٣/ ٦٢٥، والسنة لعبد الله بن أحمد:

هؤلاء صحابة نبيكم - صلى الله عليه وسلم - متوافرون وهذه ثيابه لم تبّل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثنا: "أن قوماً يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية"، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم! ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: فرأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج" (١).

رابعاً: عصر التابعين ومن بعدهم:

بعد انقضاء عصر الصحابة - رضي الله عنهم - بل وفي آخر عصرهم أخذت البدع والمخالفات تظهر وتبرز شيئاً فشيئاً، ولم يمض زمن كثير حتى بدأت تأخذ طابع التأصيل والتععيد، وأخذ الافتراق يسري في جسد أمة الإسلام، وبدأ الخرق يتسع على الراقع. ولهذا كله أسباب وأحداث - ليس هذا مقام بسطها - إلا أن علماء الملة وأتباع الحق والنور لم يقفوا من ذلك موقف السلب والسكوت بل سلكوا ما سنّه نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام، وردوا على كل من خالف وانحرف وشرع وابتدع، وكان ذلك بكل ألوان الرد قولاً

(١) أخرجه الدارمي في سننه: ٧٩/١، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٥٥٣/٧، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٢٠٠٥: إسناد صحيح.

وفعالاً واعتقاداً، وعلى سائر مستويات أولئك الأتباع، فلم يكن الرد قاصراً
على العلماء فقط، بل أسهم فيه الولاة والأمراء ممن كان من أهل السنة
وأنصارها.

وكتب الفرق والملل والنحل بل وكتب السنة والعقيدة والتاريخ،
مليئة بشواهد ذلك.

الفصل الثاني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: بعض المخالفين الذين رد عليهم القرآن الكريم في مسائل الاعتقاد.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد

لقد سلك القرآن الكريم أفضل الأساليب في الرد على المخالف، وأحكم المناهج وأقوى الحجج، والمتأمل لهذه الأساليب والحجج يجد أنها جاءت كثيرة ومتعددة، والسر في ذلك هو تعدد المخالفين وتنوعهم، وتفاوت مداركهم، واختلاف شبهم وحججهم. فجاء هذا التعدد علاجاً لذلك التنوع والتفاوت.

"فمن ترهيب للمتغربين الذين يصرون على المكابرة على الرغم من ظهور الدليل، إلى ترغيب تستمال به أكثر القلوب التي تريد ثمناً لكل تصرف يحدث منهم. إلى جدل يسوق المقدمات وينطق بالنتيجة أو يطالب السامع باستنتاجها، ويزيل الشبهة التي أدت إلى اختلاط الأمر، وهو أسلوب صالح لأرباب الثقافة ومن عندهم قدرة على التمييز والفهم، إلى أسلوب تلقيني يسوق الحق جلياً واضحاً، يخاطب به الجماهير التي لا نصيب لها من ثقافة تمكنها من أن تزن الأمور وتفهم الأدلة. وبهذا التعدد في الأساليب كان القرآن قمة في رعاية ما يقتضيه حال المدعويين"^(١) والمخالفين.

وقد استخرج العلماء بعضاً من هذه الأساليب التي سلكها القرآن الكريم، كل منهم على حسب ما أوتي من العلم والمعرفة، إلا أنهم لم يصلوا إلى استخراج كل ما فيه من الأساليب، لأن لكل واحدٍ منهم عقلاً وزماناً

(١) أسلوب الدعوة القرآنية: ١٩٢.

محدودا، والقرآن صالح لكل زمان ومكان، فهو لا زال حَمَّالاً لمزيد من الأساليب التي يمكن أن يستخرجها من تأمله وتدبره. وسأذكر هنا ما يتبين لي من المناهج والأساليب التي سلكها القرآن الكريم سواءً خالفت المناهج الفلسفية أو وافقتها لأن القرآن الكريم منهج إلهي لا يجوز أن يُرد إلى المناهج العقلية القاصرة والمحدودة. وأيضاً فالقرآن الكريم له نمطه وطابعه الخاص في الاستدلال، فكما أعجز العرب رغم نزوله بلغتهم، فكذلك معجز للطرق الفلسفية. ولا أعني أنه بهذا الإعجاز لا يتفق مع القواعد الفلسفية والمنطقية البتة، بل "إذا صح لنا أن نقول إن في القرآن شيئاً من المنطق فإننا هو منطق العقل والضمير، منطق الحجّة والبرهان... منطق البلاغة والبيان... وليس منطق أرسطو القائم على القياس ذي المقدمتين والنتيجة"^(١). وقد وقفت بحمد الله على ثمانية وعشرين أسلوباً أو مسلكاً نهجها القرآن الكريم في رده على المخالفين وهي:

أولاً: السبر والتقسيم:

السبر في اللغة: الاختبار، والتقسيم: مأخوذ من قسم الشيء إذا جزأه وفرقه.

وفي الاصطلاح: السبر: اختبار الوصف في صلاحيته وعدمها للتعليل به.

والتقسيم: حصر الأوصاف المحتملة للتعليل بأن يقال: العلة إما كذا

(١) مناهج الجدل: ٩٥.

أو كذا.

والمراد هنا بمجموع الاسمين: حصر الأوصاف التي تصلح للتعليل في بادئ الرأي، ثم إبطال ما لا يصلح منها، فيتعين الباقي للتعليل^(١). ولهذا الأسلوب أسماء أخرى: فالجدليون يسمونه التقسيم والترديد، والأصوليون السبر والتقسيم، والمنطقيون الشرطي المنفصل^(٢). وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأسلوب ضمناً وتصريحاً في مواطن كثيرة^(٣)، ومن شواهد ذلك ما يلي: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبَاكَ أَنَّكَ أَبْتَدَيْتَ وَأَنْتَ بِمَنْزِلِكَ الْكَافِرِ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤].

أَتَيْنِ وَمِنَ الْمُعْزِرِ أَتَيْنِ قُلُوبَهُمْ لَدُّوا لَكَ الْكَاذِبِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَّيْنَ أَمَا أَشْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّيْنَ نَبِيؤُنِي يَعْلَمُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ أَتَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَتَيْنِ قُلُوبَهُمْ لَدُّوا لَكَ الْكَاذِبِينَ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَّيْنَ أَمَا أَشْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّيْنَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤].

فإن الكفار - لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإنائها أخرى - ردَّ الله تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوج مما ذكر ذكراً وأنثى، فمما جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي: ما علته؟ لا يخلو: إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتغال الرحم

(١) التعاريف للمناوي: ٣٩٦، والمهذب في علم أصول الفقه المقارن: ٥ / ٢٠٦٧.

(٢) أضواء البيان: ٣ / ٤٩٢.

(٣) إرشاد الفحول للشوكاني: ٣٦٤.

الشامل لهما، أو لا يدري له علة، وهو التعبدي، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى: إمّا بوحى وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ فهذه وجوه التحريم، لا تخرج عن واحد منها.

الأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً.

الثاني: يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً.

الثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معاً.

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو: أن ما قالوه افتراء على الله وضلال^(١).

- قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

"فكانه تعالى يقول: لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات

بالتقسيم الصحيح:

الأولى: أن يكونوا خلقوا من غير شيء أي بدون خالق أصلاً.

(١) الإتيان: ٢/٣٥٩، وأضواء البيان: ٣/٤٩٣.

الثانية: أن يكونوا خلقوا أنفسهم.

الثالثة: أن يكون خالقهم خالقاً غير أنفسهم.

وحصر أوصاف المحل في الأقسام الثلاثة قطعي لا شك فيه ولا رابع لها البتة، وإبطال القسمين الأولين قطعي لا شك فيه، فتعين أن الثالث حق لا شك فيه وقد حذف في الآية لظهوره، فدلالة هذا السبر والتقسيم على عبادة الله وحده قطعية لا شك فيها^(١).

- قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٧٨) كَلَّا ﴿
[مریم: ٧٨-٧٩].

ردّ الله تعالى في هذه الآية "على العاص بن وائل السهمي قوله إنه يؤتى يوم القيامة مالاً وولداً بالدليل المعروف عند الجدليين بالتقسيم والترديد... والتقسيم الصحيح في هذه الآية الكريمة يحصر أوصاف المحل في ثلاثة والسبر الصحيح يبطل اثنين منها ويصحح الثالث... أما وجه حصر أوصاف المحل في ثلاثة فهو أننا نقول: قولك إنك تؤتى مالاً وولداً يوم القيامة لا يخلو مستندك فيه من واحد من ثلاثة أشياء:

الأول: أن تكون اطلعت على الغيب وعلمت أن إيتاءك المال والولد يوم القيامة مما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

الثاني: أن يكون الله أعطاك عهداً بذلك، فإنه إن أعطاك عهداً لن يخلفه.

الثالث: أن تكون قلت ذلك افتراءً على الله من غير عهد ولا اطلاع غيب

وقد ذكر تعالى القسمين الأولين في قوله: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ

(١) أضواء البيان: ٣/ ٤٩٤ - ٤٩٥.

عَهْدًا ﴿مَبْطَلًا لَهَا بِأَدَاةِ الْإِنْكَارِ، وَلَا شَكَّ أَنْ كَلَامَ الْقَسْمِينَ بَاطِلٌ... فَتَعِينِ الْقِسْمَ الثَّلَاثَ وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ وَقَدْ أَشَارَ تَعَالَى إِلَى هَذَا الْقِسْمِ الَّذِي هُوَ الْوَاقِعُ بِحَرْفِ الزَّجْرِ وَالرَّدْعِ وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿كَأَلَّا...﴾^(١).

ثانياً: الاستفهام التقريري:

"وهو الاستفهام عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها وهي تدلّ على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولا عترافه بإنكار الباطل"^(٢).

وليس مراد القرآن من هذا الاستدلال مجرد تسليم الخصم بما استفهم عنه القرآن، كما هي الحال في المناهج الفلسفية والقواعد المنطقية بل غاية القرآن تتعدى ذلك إلى دعوة الناس للانقياد للحق المسلم به ومجانبة الباطل.

وهذا النوع من الاستدلال هو من أحسن أساليب القرآن الكريم في الاستدلال؛ لأنه يتضمن من الخصائص الزائدة على المعنى المراد الإخبار به، ما يجعله أشد إثارة للاهتمام وتأثيراً في النفوس متضمناً في نفس الوقت الإلزام بالحجة التي لا تدفع.

ومرجع ذلك إلى أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل

(١) أضواء البيان: ٣/ ٤٩٢.

(٢) مناهج الجدل: ٧٦.

اهتمامه لما يلقي إليه ليتمكن من فهمه ثم الإجابة عنه. فإذا كان الاستفهام تقريرياً فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف ويتنزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام، وهذا الاعتراف هو ما يريده المستفهم لأنه يؤكد حجته ويبطل حجة خصمه. ولا شك أن هذا أبلغ من الأسلوب الإخباري لما يتضمنه من هذه الخصائص" (١).

وأمثلة هذا النوع في القرآن الكريم كثيرة جداً ومنها: قوله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣١-٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ

(١) أسلوب الدعوة القرآنية: ١٧٢.

التَّجْدِينَ ﴿[البلد: ٨-١٠].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ
﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ
الْبُنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ
﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿[الطور: ٣٥-٤٣].

ثالثاً: القصص القرآني:

لقد تفرد القصص القرآني بأنه أحسن القصص وأنه القصص الحق، وقد أدى وظيفة سامية في شؤون الدين والدنيا والآخرة جميعاً، بعد أن ابتذلتها الجاهليات، وجعلتها أسوأ وسيلة لتهيج الغرائز وإثارة الشهوات، في القديم والحديث^(١).

والقرآن الكريم إذا ساق القصة في الرد على المخالف، يجعل موضوع القصة رسولاً يعترف المخالف بقدره ومكانته والسبب في ذلك أن مجيء الدليل على لسان رسول يقر بفضل المخالفين كإبراهيم عند العرب وموسى عند بني إسرائيل يعطي الدليل قوة فوق قوته الذاتية إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين: من جهة قوة الدليل الذاتية، ومن جهة أن الذي قاله رسول أمين يعرفونه، فيكون هذا قوة إضافية، وفوق ذلك فيه

(١) المنهاج القرآني: ٧٣٠-٧٣١.

إلزام وإفحام إذ أنهم يدعون أنهم أتباعه.

وقد يجعل القرآن الكريم موضوع القصة وصية يوصي بها الرسول أمته وذريته، فيعرف المخالف أنه خان وصية الرسول الذي يدعي متابعتة في وصيته.

وقد يجعل موضوع القصة أقواماً صالحين أو غير صالحين، أو على لسان حيوان فيكون لذلك غرابة تثير الانتباه، وتملاً النفس إيماناً بالحقيقة التي قد يجحدها من كرمه الله بالعقل^(١).

فمن قصص الأنبياء - وهي كثيرة جداً - قصة نوح - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝٣﴾ يَعْرِفُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ [نوح: ١-٤].

ومن قصص غير الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - قصة أصحاب الكهف: قال تعالى: ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِن دُونِهِ ۚ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝١٤ هَتُوْا لَآءِ قَوْمَنَا أَتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝﴾ [الكهف: ١٣-١٥].

(١) مناهج الجدل: ٧٩-٨٠، منهج الجدل والمناظرة: ١/٣٩٦-٣٩٧.

ومن قصص غير الصالحين قصة قارون، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: ٧٩-٨٢].

ومن القصص ما جاء على لسان هدهد سليمان - عليه السلام -، قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يُقِينِ ﴾ [النمل: ٢٠-٢٢].

رابعاً: ضرب الأمثال أو القياس:

صرح القرآن الكريم بأنه ضرب الأمثال للمخالفين، وذلك في أكثر من آية ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا

الْعٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

والأمثال القرآنية محكمة في ألفاظها ومعانيها، قاطعة في براهينها، متقنة القياس، وهي تهدي إلى الحكمة، حيث تضرب لبيان الحق في العقائد والأخلاق والمعاملات والأحوال ونحوها، ومن تفكر في الأمثال القرآنية وتدبرها وفقهها وعمل بما دلت عليه فقد أوتي حظاً عظيماً من الحكمة^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله - : "ضرب [الله] الأمثال و صرفها في الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين، وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين المختلفين، وإنكار الجمع بينهما"^(٢).

وقد استخدم القرآن الكريم ضرب الأمثال في الرد على المخالف لعدة

أسباب منها:

١ - لأن الإنسان "يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها ورشاقة لفظها، وإصابتها المعنى، وطرافتها التي تتجدد

(١) الأمثال القرآنية: ١/ ١٣٤.

(٢) إعلام الموقعين: ١/ ١٠١.

ولا تبلى، مما نرى أثره في وجوه السامعين لها وإقبالهم عليها وتسليمهم بحكمها" (١).

٢- "أن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع فإن المورد للمثل إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، ومسلم لديه. ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم وتحقيق الإلزام به" (٢).

ومن الموضوعات التي رد القرآن الكريم على المخالفين فيها بضرب الأمثال ما يلي:

١- ما ضربه لمعبوداتهم من دون الله:

- قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨].

وهذا دليل قياس احتج الله به على المشركين حيث جعلوا من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجج أن يؤخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليها بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها، فقال: هل لكم من ما ملكت أيانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهلكم فأنتم وهم في ذلك سواء تخافونهم

(١) أسلوب الدعوة: ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٩، البرهان في علوم القرآن: ١/٤٨٧.

أن يقاسموكم أموالكم... والمراد إقامة الحجة على المشركين، فإنهم لا بد أن يقولوا: لا نرضى بذلك، فيقال لهم: كيف تنزهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم في البشرية، وتجعلون عبيد الله شركاء له؟ فإذا بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم فيما يملكه السادة، بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه، والخلق كلهم عبيد لله تعالى، ولم يبق إلا أنه الرب وحده لا شريك له" (١).

ومن الآيات التي ضرب الله فيها الأمثال لما عبد من دونه، قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٥-٧٦] (٢).

٢- ما ضربه من الأمثلة لبيان عجز آلهتهم:

- قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَنِ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِن يَسْلُبْهُمُ

(١) انظر: إعلام الموقعين: ١/ ١٢٣، فتح القدير: ٤/ ٢٢٣.

(٢) انظر: بدائع التفسير: ٣/ ٤٤-٤٦.

الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿[الحج: ٧٣].

قال ابن القيم - رحمه الله - حول هذا المثل: "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقته فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدر على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله" (١).

- وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

قال ابن القيم - رحمه الله - : "تحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آِلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم:

(١) أعلام الموقعين: ١/ ١٣٩.

٨١-٨٢] "(١).

والأمثلة المضروبة لحال المخالفين ومعبوداتهم في القرآن أكثر بكثير مما ذكر، والمراد ببيان أن القرآن سلك هذا المسلك وهو القياس أو ضرب الأمثال في الرد على المخالفين، ومن أنواع القياس التي سلكها القرآن الكريم خلال هذه الأمثال والردود ما يلي:

١ - الأقيسة الإضمارية:

القياس المضمّر هو: القياس الذي "طويت مقدمته الكبرى أو الصغرى إما لظهورها والاستغناء عنها وإما لإخفاء كذبها أي تحذف في هذا القياس أحد المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف" (٢).
وقد نص ابن أبي العز علي وجود هذا النوع من الأقيسة في القرآن الكريم فقال: "إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف (إحدى المقدمات) وهي طريقة القرآن الكريم" (٣).

ومن مواطن استعماله في القرآن الكريم ما ردّ به تعالى على المخالفين - النصارى - في زعمهم إلهية عيسى - عليه السلام - قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠].

وبيان القياس في الآية كالتالي: إذا كان الخلق من غير أب مسوغاً

(١) المصدر السابق: ١/ ١١٩.

(٢) أسس التفكير: ٧٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ١/ ٣٨.

لاتخاذ عيسى إلهاً فأولى أن يكون الخلق بغير أب ولا أم مسوغاً لاتخاذ آدم إلهاً، ولا أحد يقول ذلك.

ففي هذا القياس حذف مقدمته وكان القياس هو: إن آدم خلق من غير أب ولا أم وعيسى خلق من غير أب، ولو كان عيسى إلهاً بسبب ذلك لكان آدم أولى أن يكون إلهاً، وآدم ليس ابناً لله ولا إلهاً باعترافكم فعيسى أيضاً ليس ابناً لله ولا إلهاً^(١).

ويقول الرازي في بيان هذا القياس أيضاً: "وإذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب، فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم؟ بل هذا أقرب إلى العقل، فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس"^(٢).

وهذا الحذف "قد صير في الكلام طلاوةً وأكسبه رونقاً وجعل الجملة مثلاً مأثوراً يعطي الكلام حجة في الرد على النصارى ويذكر الجميع بأن آدم والناس جميعاً ينتهون إليه وإنما خلق من تراب فلا عزة إلا الله تعالى"^(٣).

٢- القياس الطردى والعكسي:

والمراد بهذا القياس:

أ- الطردى: إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه.

ب- العكسي: نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من القياس وكانت في سياق الرد

(١) تفسير القرطبي: ٤/١٠٣، وإعلام الموقعين: ١/١٣٤، وأسس التفكير: ٧٤.

(٢) التفسير الكبير: ٨/٧٩.

(٣) مناهج الجدل: ص ٧٥-٧٦.

على المخالفين قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

هذا مثالان متضمنان قياسين من قياس العكس وهو نوعان: قياس طرد، وقياس عكس، فالمثل الأول: ما ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء، فكيف تجعلونها شركاء لي وتعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين.

وأما المثل الثاني: فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضاً فالصنم الذي يعبدونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة وأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة، والله سبحانه حيّ قادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد. فكيف تسبغون وصف الألوهية الذي هو من خصائصه تعالى على أصنامكم مع الفرق الشاسع بينهما^(١).

(١) الأمثال في القرآن: ٢١-٢٢.

٣- قياس الخُلف:

ويعني هذا القياس: "إثبات المطلوب بإبطال نقيضه"^(١). وسمي بقياس الخلف: إما لكونه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف لأخذ المطلوب من المقدمة المتروكة والمجهولة، وهي مقدمة الخصم الكاذبة وذلك بالبرهنة بكذبها على صدق نقيضها، وإما لكونه مضافاً إلى الخلف، وهو الكذب المناقض للصدق^(٢).

وهذا النوع من القياس يسميه علماء الكلام دليل التمانع ويستدلون له من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ويقرر أهل الكلام هذا الدليل بأنه "لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب وإن هذا التنازع يؤدي إلى فسادهما لتناقض الإرادتين، ولكنها صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدي إلى الفساد فكانت الوجدانية فسبحان الله رب العرش عما يصفون"^(٣).

ولا شك أن هذا التقرير منهم نابع عن منهجهم القاصر في تقرير التوحيد، حيث ظنوا أن توحيد الربوبية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا باطل.

بل كانت دعوتهم إلى توحيد الألوهية الذي هو الغاية المقصودة،

(١) مناهج الجدل: ٧٧.

(٢) الأدلة العقلية في القرآن: ٤٦٩.

(٣) مناهج الجدل: ٧٨.

وشاهد هذا من الآية السابقة أن الله - جلّ وعلا - لم يقل "لو كان فيهما إلهان، بل المقدر آلهة غير الإله المعلوم أنه إله، فإنه لم ينازع أحد في أن الله إله حق، وإنما نازعوا هل يتخذ غيره إلهاً مع كونه مملوكاً له..."^(١).

وليس هذا مقام البسط في الرد على هذا المعتقد الخاطئ لدى أهل الكلام، بل المقصود تقرير أن دلالة التمانع في الآية صحيحة في إثبات الألوهية المتضمنة للربوبية.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا القياس أيضاً:

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾

[النساء: ٨٢].

فهذه الآية لإثبات أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، فإذا أثبت أنه لا اختلاف فيه ولا تناقض، بطل أن يكون من عند غير الله، فلزم أن يكون من عنده سبحانه^(٢).

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بَنَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ

سَيِّئًا﴾ [الإسراء: ٤٢]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

٤ - قياس ما في الغيب على المشاهد:

وتعريف هذا القياس "أن نساوي بين ما غاب عن حسنا مما أخبرنا به وبين ما نعرفه فيكون ذلك أدعى لفهمنا وأسهل في تصورنا وتكون لنا به العناية إن كان حسناً، والبعد إن كان سيئاً"^(٣).

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٩/ ٣٦٩-٣٧٠، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ٢٤.

(٢) منهج الجدل والمناظرة: ٤٠٢.

(٣) المدخل: ٥٩.

قال ابن تيمية - رحمه الله - : "لا ريب أن قياس الغائب على الشاهد يكون تارة حقاً وتارة باطلاً وهو متفق عليه بين العقلاء" (١).

وهذا النوع من القياس ينقسم إلى قسمين:

الأول: "قياس فاسد: وهو قياس الكفار حالهم في الآخرة على حالهم في الدنيا، وذلك بحصول النعيم لهم في الآخرة كما حصل لهم في الدنيا" (٢).

قال تعالى مشيراً إلى قياسهم هذا: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا

نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ [سبأ: ٣٥-٣٨].

الثاني: قياس صحيح ومنه قياس أمور الآخرة على ما في الحياة الدنيا

لهدف التقريب لا المماثلة.

وقد برز هذا النوع من القياس في ردود القرآن الكريم على من أنكر

البعث والنشور ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ

(١) بيان تلبس الجهمية: ١/ ٣١٧.

(٢) المدخل: ٥٩.

وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿ [يس: ٧٨ - ٨١].

- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ
يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَةَ بَلَاءً إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ [الأحقاف:
٣٣].

- وقوله جلّ وعلا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَةِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿
[فصلت: ٣٩]. إلى غير ذلك من الآيات التي قربت أمور الآخرة
بأحداث الدنيا.

٥ - قياس الدلالة:

وهو: "الجمع بين الأصل والفرع في الحكم، بدليل العلة
وملزمها"^(١).

ومن الآيات التي ورد فيها هذا القياس قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ
تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي
الْمَوْتَةِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ [فصلت: ٣٩].

ففي هذه الآية الكريمة قاس الإحياء على الإحياء، والعلة الموجبة هي
عموم قدرته سبحانه، وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة، وقد كرر
سبحانه أمثال هذا الدليل في كتابه مراراً، وذلك لصحة مقدماته، ووضوح
دلالاته، وقرب تناوله وبعده عن كل معارضة وشبهة^(٢).

(١) إعلام الموقعين: ١/ ١٣٨.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٣٩ - ١٤٥.

٦ - القياس الشرطي^(١):

وهو القياس الذي تكون إحدى قضاياه شرطية.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من القياس قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].
وقد رد الله - جلّ وعلا - بهذه الآية الكريمة وعلى هذه الصورة من القياس على كل من رفع محمداً - صلى الله عليه وسلم - فوق مكانته التي وهبه الله إياها. وصورة هذا القياس الشرطي كالتالي:
إذا كان من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب بشر (فعل شرط).

ومحمد - صلى الله عليه وسلم - لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب.

إذن محمد - صلى الله عليه وسلم - بشر (جواب الشرط).

٧ - قياس العلة^(٢):

والمراد بهذا القياس: أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل.

وهذا النوع ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ

(١) انظر: أسس التفكير: ٧٣.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٢٦/٣، إعلام الموقعين: ١/١٣٤، الحوار مع أهل الكتاب: ١٩٠.

خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
[آل عمران: ٥٩ - ٦٠].

وتقرير هذا النوع على هذه الآية كالتالي: إذا اتخذوا عيسى إلهاً لأنه خلق من غير أب فآدم أولى لأنه خلق من غير أب ولا أم، وهذا من باب تشبيه الغريب بالأغرب؛ لأن خلق عيسى من خلق آدم، وذلك ليكون أقطع للخصم، وأوقع في النفس.

ومن الشواهد أيضاً لقياس العلة، قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، أي قد كان من قبلكم أمم أمثالكم فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك كان تكذيبهم بآيات الله ورسله، وهم الأصل وأنتم الفرع، والعلة الجامعة للتكذيب، والحكم الهلاك^(١).

خامساً: مطالبة المخالف بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدعاه:

وهذا المنهج كثير في القرآن الكريم وهو منهج يفحم المخالف ويقطع عليه حجته.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا المنهج قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠].

(١) إعلام الموقعين: ١ / ١٣٤.

وهذه المطالبة في هذه الآية: "بين أمرين لا بد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما فلزم ثبوت الآخر، فإن قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ خبر عن غيب لا يعلم إلا بالوحي، فإما أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كذباً، وإما أن يكون مستنداً إلى وحي من الله وعهد عهده إلى المخبر، وهذا منتفٍ قطعاً، فتعين أن يكون خبراً كاذباً قائله كاذب على الله تعالى" (١).

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].
ففي هذه الآية الكريمة يجيبهم تعالى "عن دعواهم خلوص الآخرة لهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لأن الحبيب لا يكره لقاء حبيبه، والابن لا يكره لقاء أبيه، لاسيما إذا علم أن كرامته ومثوبته مختصة به، بل أحب شيء إليه لقاء حبيبه وأبيه، فحيث لم يجب ذلك ولم يتمنه فهو كاذب في قوله مبطل في دعواه" (٢).

سادساً: القول بالموجب (٣):

والمراد به ردّ كلام الخصم ودعواه من فحوى كلامه وهو قسمان:
الأول: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم،

(١) بدائع الفوائد: ٢ / ٤٤٤، تفسير ابن كثير: ١ / ١١٨، مناهج الجدل: ٨٠.

(٢) بدائع الفوائد: ٢ / ٤٥٠.

(٣) انظر الإتيان: ٥ / ١٩٦٠.

فيثبتها لغير ذلك الشيء، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ف (الأعز) في كلام المنافقين وقعت كناية عن فريقهم، (والأذل) كناية عن فريق المؤمنين، أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، إذ أثبتها تبارك وتعالى له ولرسوله وللمؤمنين، فكأنه قيل صحيح ما تقولون (ليخرجن الأعز منها الأذل) ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون، وأنتم الأذل وستخرجون منها.

الثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعقله.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، وذلك أن المنافقين كانوا يؤذون الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقولهم ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يصدق كل ما يقال له ويسمعه، فيقول الله سبحانه وتعالى رداً عليهم قل إنه يسمع ولكنه يسمع الخير ويقبله وهو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب ويصدق بالله ويصدق المؤمنين^(١).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١١٠.

سابعاً: فرض التسليم^(١):

ويكون التسليم بأن يفرض المحال: إما منفيّاً أو مشروطاً بحرف الامتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على تقدير وقوعه.

- كقوله تعالى: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

والمعنى: ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزم منه من المحال. والفرق بين التسليم وقياس الخلف السابق أن التسليم ينفرد عن قياس الخلف بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال^(٢).

ثامناً: الإسجال:

والمراد به "أن تثبت على لسان خصمك ألفاظاً في سياق آخر تسجل به عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار"^(٣).

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى في الرد على المنافقين: ﴿ وَإِذَا

(١) انظر الإتيان: ٥/ ١٩٦٠-١٩٦١.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٨٢.

(٣) مناهج الجدل: ٨٢، الإتيان: ٥/ ١٩٦١.

قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ
كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [البقرة: ١١-١٣].

قال ابن القيم - رحمه الله - : "حكم العزيز الحكيم بين الفريقين بأن
أسجل على المنافقين أربع إسجلات أحدها: تكذيبهم، والثاني: الإخبار
بأنهم مفسدون، والثالث: حصر الفساد فيهم بقوله: ﴿هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ ،
والرابع: وصفهم بغاية الجهل وهو أنه لا شعور لهم البتة بكونهم
مفسدين... وأما السفهاء الذين لا عقل يميزون به بين النافع والضار فلا
يجب علينا موافقتهم، فرد الله تعالى عليهم وحكم للمؤمنين وأسجل على
المنافقين بأربعة أنواع: أحدها: تسفيهم، الثاني: حصر السفه فيهم، الثالث:
نفي العلم عنهم، الرابع: تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من الإخبار عن سفه
أهل الإيمان، وخامس أيضاً: وهو تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من دعواهم
التنزيه من السفه" (١).

ومن أمثلة الإسجال أيضاً قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَعَدَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا نَجُزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِّنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨].
ففي هذه الآيات إسجال بالإيتاء والإدخال، وحيث وصفا بالوعد من الله

(١) بدائع الفوائد: ٢/٤٣١-٤٣٢.

الذي لا يخلف وعده. وما يشبه هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدَّ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

تاسعاً: الانتقال في الاستدلال:

والمراد به "أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل، أو من مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول، أو عند فهمه وجه الدلالة ولكنه يقصد المغالطة فيأتي بدليل أو مثال آخر لا يجد الخصم معه مفراً دون الانقطاع أو التسليم" (١).

ومن الآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِيمَ فِي رِيهٍ أَنِ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمَلِكَ إِذْ قَالَ إِبرَهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

عاشراً: مجازة المخالف لتبيين عشرته (٢):

والمراد بها أن تسلم للمخالف بعض مقدماته بقصد تبكيته وإلزامه، وذلك ببيان أن هذه المقدمات المسلم بها لا تنتج ما يريد هو، بل هي مساعدة على إنتاج ما تريده أنت.

ومثال هذا من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ

(١) الإتيان: ١٩٦١/٥، مناهج الجدل: ٨٢.

(٢) انظر الإتيان: ١٠٦٠/٢، ومناهج الجدل: ٨٣.

مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ
 ١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ ﴿١٠﴾ [إبراهيم: ١٠-١١].

فقولهم: إن نحن إلا بشر مثلكم فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصودين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس هذا مرادهم، بل مرادهم مجارة المخالف ليعثر، وذلك بالتسليم بدليله لكن مع منع الدلالة. وذلك ببيان أن البشرية لا تنافي الرسالة، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره، لكن هذا لا ينافي أن يَمُنَّ الله علينا بالرسالة؛ لأن سنة الله جرت أن يكون المرسل من جنس المرسل إليهم، وذلك ليعرفوا قدره ومكانته وصدقه وأمانته، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ ١٤ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ [الإسراء: ٩٤-٩٥].

الحادي عشر: الاحتجاج على المخالف بالتشهي والتحكم:

ويكون هذا الاحتجاج بأن يقول صاحب الحق للمخالف: "لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان القول موافقاً لما تهواه وتشتهيه إما من تقليد من تعظمه أو موافقة ما تريده قبلته وأجزته، فترد ما خالف هواك وتقبل ما وافق هواك" (١) ولا شك أن هذا يفحم المخالف ولا جواب له عليه البتة،

(١) بدائع الفوائد: ٢ / ٤٤٤.

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْا لَهُ تَقْلُوبًا أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَبْطِغُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْذَرُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ... [إلى قوله] ... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿البقرة: ٨٧﴾.

قال ابن القيم - رحمه الله - عن الاحتجاج بهاتين الآيتين أنهما: "مفحمان للخصم لا جواب له عليهما البتة، فإن الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعة، والتزام بعض شرائعه يوجب التزام جميعها، ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات إذ لو كان الشرع تابعاً للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه وكانت شهوة كل أحد وهواه شرعاً له: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].^(١)

الثاني عشر: المناقضة^(٢):

والمراد بها إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها، ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٤٥.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٨٥، واستخراج الجدل من القرآن الكريم: ١١٤، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ١٥٦.

نُؤْمِنُكَ لِرَسُولٍ حَقٍّ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ
بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ [آل عمران:
١٨٣]، والنقض في هذه الآية هو في قوله تعالى: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّن شَيْءٍ قُلْ
مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قَرِيطِينَ تَبَدُّوْنَهَا
وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، والنقض في هذه الآية هو في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ
الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:
١٧٠]، والنقض في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا
وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا
أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا
إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ لَّعِينٍ﴾ [القصص: ٤٨]، والنقض هنا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَكْفُرُوا
بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾.

الثالث عشر: إثبات أن المخالف لا حجة له وأن البرهان قام على خلاف دعواه^(١):

ومن أمثلة هذا المسلك والنوع في القرآن الكريم ما يلي قوله تعالى:

﴿يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢]. فكان إبراهيم - عليه السلام - قال لهم: إن الحاجة لا تقوم إلا على الحجة والبرهان، ولم تثبتوا على مدعاكم شيئاً من ذلك، أما أنا فقد قام البرهان على هدايتي إلى طريق الحق والصواب، فلم لا تقبلون الحق المؤيد بالحجة والبرهان.

الرابع عشر: الدعوة إلى الملاحظة العلمية لما في الكون من ظواهر وآثار:

وهذا النوع سلكه القرآن الكريم وأكثر منه جداً في الرد على أعداء التوحيد ومخالفيه، بل أمر به المؤمنين الموحدين وسلك ذلك بصور شتى وأساليب عدة ومن ذلك على سبيل الإجمال ما يلي:

(١) انظر: مناهج الجدل: ٨٦، وبدائع الفوائد: ٤٥٢/٢، والحوار مع أهل الكتاب: ١٩٩.

١ - الرد على المخالفين بدليل الخلق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِينُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٦-١١٧].

ودليل الخلق هذا له دلالة يدخل فيها وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السماوات، وهذه الطريقة تبنى على أصليين موجودين بالقوة في جميع الفطر: أحدهما: أن هذه الموجودات مخلوقة مخترعة. الثاني: أن لكل مخلوق خالقا.

فيصح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً خالقاً مخترعاً له. ^(١)

٢ - الرد على المخالفين بدليل العناية أو التناسق ^(٢):

بين القرآن الكريم أنه لا يوجد شيء في الكون إلا في محله المناسب وبالقدر المناسب، فكل ما فيه في غاية الحكمة والعناية والإتقان ومن الأمثلة القرآنية على هذا المسلك:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لِّعَلَّاهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ

(١) الكشف عن مناهج الأدلة: ٦١.

(٢) انظر: عقيدة التوحيد: ١٤٧.

ءَايِنَهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ [الأنبياء: ٣١-٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأُنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿١٩﴾ [الحجر: ١٩-٢٢].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَدَّلْنَا بُحْبُوحَةَ الْأَرْضِ لَكُمْ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا نَعْمًا وَمَنْ أَكْفَىٰ لَهُ نِعْمًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا الْفَاوَّاقَ ﴿١٦﴾﴾ [النبا: ٦-١٦].

وهذا المسلك الذي سلكه القرآن - مسلك الملاحظة - يمتاز بأن "تأثيره ذاتي متجدد، لا يختص بعصر دون عصر، ولا بجنس دون جنس ولا بمستوى ثقافي دون آخر، فمتى وجه الإنسان فكره إلى هذا السبيل انثالت عليه تأثيراته العقلية والروحية، فلا يملك لها دفعا. وكلما ازداد علماً ازدادت قدرته على استقبال فيض أعظم من هذه التأثيرات" (١) وعبر بعضهم عن هذا المنهج بما يسمى بالمنهج الاستقرائي أو المنهج الفرضي العلمي. واستدل بآيات كثيرة على أن القرآن الكريم وضع "أهمية الملاحظة

(١) أسلوب الدعوة: ٣٤٣.

الدقيقة لما يجري حولنا من الظواهر الكونية الحسية وإثبات صدق القضايا المختلفة عن طريق الاستقراء الذي يعتمد على التجربة الحسية الواقعية وليست التجربة العملية كما هو الحال في التجربة العلمية وهي تجارب واقعية تتضمن روح المنهج الاستقرائي في اتخاذ التجربة الحسية محكاً للصدق وفي اعتمادها على الواقع المشاهد الملموس^(١).

الخامس عشر: إفحام المخالف ببيان أن دعواه تلزمه القول بما لم يقل به أحد وبما لم يعترف به هو:

ومثال هذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠١].

قال ابن القيم - رحمه الله - : "وأما منافاة عدم المصاحبة للولد فظاهر أيضاً، لأن الولد إنما يتولد من أصلين فاعل ومحل قابل يتصلان اتصالاً خاصاً فين فصل من أحدهما جزء في الآخر يكون منه الولد، فمن ليس له صاحبة كيف يكون له ولد؟ ولذلك لما فهم عوام النصارى أن الابن يستلزم المصاحبة لم يستنكفوا من دعوى كون مريم آلهة وأنها والدة الإله عيسى، فيقول عوامهم: يا والدة الإله اغفري لي، ويصرح بعضهم بأنها زوجة الرب ولا ريب أن القول بالإيلاد يستلزم ذلك أو إثبات إيلاد لا يعقل ولا يتوهم، فخواص النصارى في حيرة وضلال، وعوامهم لا

(١) أسس التفكير: ٦٤.

يستنكفون أن يقولوا بالزوجة والإيلاد المعقول، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، والقوم في هذا المذهب الخبيث أضل خلق الله، فهم كما وصفهم الله بأنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل" (١).

السادس عشر: التحدي:

ويكون هذا التحدي على أمرين:

١. صدق دعوى صاحب الحق.

٢. بطلان دعوى المخالف.

وكلا الأمرين ورد في القرآن الكريم.

أولاً: صدق دعوى صاحب الحق:

بعد أن نزل القرآن الكريم على الرسول - صلى الله عليه وسلم - شكك المشركون في مصدره فأبطل الرسول - صلى الله عليه وسلم - جميع شبههم حوله وكان من أساليب رده عليهم في هذه المسألة التحدي حيث قال إن هذا القرآن الكريم من عند الله تعالى وليس من عند البشر وتحداهم في الإتيان بمثله أو ببعضه:

قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِيَاتٍ

وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن

(١) بدائع الفوائد: ٢ / ٤٥٥.

مَثَلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿البقرة: ٢٣﴾ .
 وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ
 اسْتَطَعْتُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿يونس: ٣٨﴾ .

ولما عجزوا بعد هذه التحديات جميعاً، سجل عليهم هزيمتهم وأعلن
 ظفر القرآن بالإعجاز وكذبهم فيما ادعوه من نسبة إلى غير الله تعالى، فقال
 تعالى: ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا
 يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿الإسراء: ٨٨﴾ .^(١)
 ثانياً: التحدي على بطلان دعوى المخالف:

وقد ورد هذا في القرآن الكريم حينما أراد بيان عجز آلهة المشركين
 وضلالها على لسان كثير من الأنبياء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا الَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ
 أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَآ
 تُنظَرُونَ ﴿الأعراف: ١٩٤-١٩٥﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا
 مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾ .
 وغير ذلك من الآيات التي تحدى بها سائر الأنبياء أقوامهم أن يلحقوا

(١) مناهل العرفان: ٣١٢/١.

بهم ضرراً ومنها قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦٨) قُلْنَا يَنْتَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

ومنه أيضاً ما ورد في القرآن الكريم من ذكر مباحثه - صلى الله عليه وسلم - لنصارى نجران، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

السابع عشر: توضيح الرد وتبسيطه أمام ذهن المخالف بتحليله إلى عناصره البسيطة:

وقد ردّ الله تعالى بهذا الأسلوب على منكري البعث فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُؤَوِّفُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدِّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْعُمْرِ﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَلَّ مِنْهُ الرِّجَاجِ الذِّكْرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ ﴿ [المؤمنون: ١٢-١٦].

الثامن عشر: كشف ما يخفيه المخالف في نفسه:

وهذا أسلوب سلكه القرآن الكريم مع المخالفين وخصوصاً مع
المنافقين حيث كان يكشف للرسول - صلى الله عليه وسلم - ما يدور في
أنفسهم من السوء والنفاق ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ
أَمْنَةً نُعَاسًا يَعْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ
غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ
لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا
قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿ [آل عمران: ١٥٤].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي
يُعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى
الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ [الأحزاب: ١٩].

- وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ ﴿ [النمل: ١٣-١٤]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

التاسع عشر: المنهج المقارن^(١):

والمراد به المنهج الذي نوصل به المخالف إلى الحقيقة عن طريق المقابلة والمقارنة بين الأحداث والآراء بعضها ببعض لكشف ما بينها من تشابه أو اختلاف أو علاقة.

ومن الآيات التي ردت على المخالفين على طريقة هذا المنهج ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا

يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ

﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ

وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

ولا شك أن سلوك هذا المسلك الذي سلكه القرآن يساعد المخالف

(١) انظر: أسس التفكير: ٨٨.

على إدراك الحقيقة ويوضح له الفروق بين المتناقضات والعلاقة بين الأشياء حتى يسهل الوقف عليها ومعرفتها معرفة صحيحة.

العشرون: الترغيب والترهيب:

وهذا مسلك ناجع لمن لا تجدي معهم أساليب الإقناع والحجج فيلجأ معهم إلى الترغيب بالنصر والتمكين في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة وكذا بالخسارة والذلة في الدنيا لمن خالف ولا يكفي الترهيب بالدنيا بل وفي الآخرة حسرة وندامة نسأله تعالى العافية والسلامة.

ومن الآيات التي سلك فيها القرآن الكريم هذا المسلك مع المخالفين ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۚ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءَ كَافِرُونَ ۚ ﴾ [١٤] فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ أَلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِيُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَاَلْتَارُ مَتَوَىٰ لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ [فصلت: ١٣ - ٢٤].

الحادي والعشرون: الأسلوب التلقيني:

وهو أسلوب يسوق القضايا ويقرر الحقائق على هيئة أسئلة توجه للمخالف حول الحقائق الأولية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها وذلك لتقريره بالحق واعترافه بإنكار الباطل.

وهذا الأسلوب ورد كثيراً في القرآن الكريم ومن أمثله ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا

وَخَفِيَّةً لِّئِنْ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ

كُرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ [الأنعام: ٦٣ - ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٨٦ ﴾
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ٨٧ ﴾ قُلْ مَنْ مِنْ يَدَيْهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ
 وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ٨٨ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى
 تُسْحَرُونَ ٨٩ ﴾ بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ [المؤمنون: ٨٦ - ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨ ﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ ﴾
 نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿ ٦٠ ﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٦١ ﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ٦٢ ﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
 ﴿ ٦٣ ﴾ أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿ ٦٤ ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ
 ﴿ ٦٥ ﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿ ٦٦ ﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿ ٦٧ ﴾ أَفَرَأَيْتُمْ أَلْمَاءَ الَّتِي تَشْرَبُونَ ﴿ ٦٨ ﴾ أَأَنْتُمْ
 أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿ ٦٩ ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاثًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿ ٧٠ ﴾
 أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿ ٧١ ﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ نَحْنُ
 جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَرِجَاءً لِلْمُقِيمِينَ ﴿ ٧٣ ﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿ [الواقعة: ٥٨ -
 ٧٤].

الثاني والعشرون: التوكيد والتكرار^(١):

وهذا الأسلوب ردّ القرآن الكريم به على المخالفين لأنه من أهم
 الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق
 والإيمان به.

وقد توسع القرآن الكريم في استخدام هذا الأسلوب توسعاً يتجاوز

(١) أسلوب الدعوة: ٣٤ و٣١٣.

به أساليبه المصطلح عليها، ولم يقتصر في استخدامه على غرض دون غرض بل إنه يكاد يستخدمه في التعبير عن قضاياها كلها، فهو يؤكد صفاته تعالى، ويؤكد حين يعد أو يوعد، ويؤكد حين يدعو للعقائد، وحين يدعو للعبادات وحين يدعو للمعاملات، ويؤكد كلما كان الخبر محل إنكار أو شك وكما توغل الخبر في الشك زادت ألوان التأكيد لانتزاع الشك من جذوره. وهذا كله تأكيد يلاحظ فيه حال المخاطب.

وهذا مثال لاستخدامه تعالى هذا الأسلوب في الرد على من أنكر هذا الدين وتوقع سرعة زواله وتثبيت لأهل هذا الدين وأتباعه: قال تعالى:

﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

ووسائل التوكيد في هذا المثال متعددة منها^(١):

القسم المحذوف الذي دخلت اللام على جوابه، واللام الداخلة على جواب القسم، ونون التوكيد الثقيلة في ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ و ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ ﴾ و ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ ﴾، واسمية الجملة في قوله ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾، وضمير الفصل ﴿ هُمْ ﴾.

ومن الآيات الأخرى التي استعمل القرآن التوكيد فيها للرد على

(١) أسلوب الدعوة: ٣١٥.

المخالف: قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلِ مَا أَنْتُمْ نَطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣]. فهذا تأكيد بالقسم وهو كثير في القرآن الكريم. ومن التأكيد أسلوب التكرار ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَبَلِّغْهُمْ رِسَالَاتِنا وَلْيَسِّرْ لَهُمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المزمل: ١٥]، فقد تكررت في سورة واحدة مرات عدة.

الثالث والعشرون: التنزل مع المخالف^(١):

والمراد به أن يتخلى كل من الفريقين عن وجهة نظر مسبقة وإعلانها الاستعداد لتقبل الحقيقة.

ومثاله في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢٤] قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٦].

الرابع والعشرون: البدء من نقطة التقاء^(٢):

والسبب في اتباع هذا المنهج أن المخالف لا يعدم من نقطة خير أو صواب فيبدأ بهذا الخير أو الصواب إما بالدخول إليه أو بالدخول منه ثم ينمى ويسار به إلى ما يُراد إيصاله إليه.

ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ

(١) انظر: أدب الحوار والمناظرة: ٦٧.

(٢) انظر: أدب الحوار والمناظرة: ٨٠.

الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ
إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿العنكبوت:
٤٦﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿آل عمران: ٦٤﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ
الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ
﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿الشعراء: ١٨ - ٢٢﴾.

الخامس والعشرون: إنهاء الحوار عند اللجاجة^(١):

إذا وصل الحال بالمخالف وقت الرد عليه ومحاورته إلى حد اللجاجة
والخوض والاستهزاء فإن القرآن شرع في مثل هذا الحال إنهاء الحوار معه
بصور شتى ومنها:

١- الإعراض: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ
الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿الأنعام: ٦٨﴾.

٢- القيام: كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ

(١) أدب الحوار والمناظرة: ٨٨.

ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْرَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾
[النساء: ١٤٠].

السادس والعشرون: عدم الخوض مع المخالف فيما لا ينبنى عليه عمل:

لقد شرع القرآن الكريم هذا المنهج وسلوكه ومن الآيات القرآنية التي قعدت مثل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

ومن الآيات القرآنية التي سلكت هذا المنهج قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢] فكانت إجابة هذا السؤال الذي لا يترتب عليه عمل ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ [النازعات: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].
وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ حيث لم تكن إجابة هذا السؤال عن كنه الأهله وكيفيتها وإنما أجاب بعملها فقال: ﴿قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].
فكان السؤال إتيان البيوت من ظهورها، والله يأمر أن تؤتى البيوت من أبوابها.

السابع والعشرون: كشف ماضي المخالف حتى لا يغتر به:

قد يكون المخالف صاحب مكانة أو وصف يجعل البعض يتأثر بمخالفته، فكيف يكون التعامل معه؟

هذا ما حصل من أهل الكتاب فقد كان وصفهم بأنهم أهل كتاب قد يؤثر على البعض وقت نزول القرآن لما يراه منهم من تعنت وعناد وعدم إيمان بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ورسالته، فأطال القرآن الكريم في الرد عليهم وإبطال ما عندهم وأقام الأدلة على "أن لهم من سوابق المخالفات لرسولهم ما لا يستغرب معه مخالفتهم لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وينقض عليهم دعاويهم الباطلة وتزكيتهم لأنفسهم بيان ما يصاد ذلك من أحوالهم وأوصافهم" (١).

ومن الآيات المبينة لهذا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ

مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ

فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ

بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا

مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

الثامن والعشرون: مطالبة المخالف بالدليل على ما يدعيه (٢):

كل دعوى لا بد من إقامة الدليل عليها، وإلا كانت مجرد دعوى خلية

عن البرهان، والدليل إما أن يكون نقلياً أو عقلياً، والمطلوب في النقلية

الصحة وفي العقلي صراحته وبيان حجته.

(١) القواعد الحسان: ٢٦.

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ٢/٦٩١، والرد على المخالف: ٦٤.

وهذا ما قرره القرآن الكريم في أكثر من موضع بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. وهذا عام في كل دعوى، ولهذا قال أهل العلم: "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل".

ومن الشواهد القرآنية لهذا الأسلوب مع المخالفين:

- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

- قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ عَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، ففي هذه الآية طالبهم بالدليل العقلي ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ وبالدليل النقلي ﴿أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

المبحث الثاني

بعض المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم في مسائل الاعتقاد

لقد ردّ القرآن الكريم على شبهات عديدة وعلى مخالفين كثير، ومع ذلك فهو - كما سبق - لم " يذكر فيه مخاطبة كل مبطل بكل طريق، ولا ذكر فيه كل ما يخطر بالبال من الشبهات وجوابها، فإن هذا لا نهاية له ولا ينضب^(١)" وعلى هذا أيضاً فلن أعمد إلى استقصاء كل ما ورد فيه من مخالفين وشبهاتهم، ولكن سأعرض لأبرز المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم مع ذكر بعض شبهاتهم وجوابه عليها، وأول هؤلاء المخالفين الضالين هو:

أولاً: إبليس - لعنه الله -:

"إن أول شبهة وقعت في الخليفة شبهة إبليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم - عليه السلام - وهي الطين، وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسادت في الخليفة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال^(٢)."

وقد ذكر الله تعالى هذه الشبهة في مواطن عدة في القرآن الكريم ومنها:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٨ / ٨٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني: ٧.

وَأَسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٣٤﴾.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ

أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿الأعراف: ١١-١٢﴾.

وقد بين أهل العلم أن شبهة إبليس هذه داحضة من وجوه، عدة ليس

هذا مقام ذكرها^(١).

وقد بين القرآن ما عاقبه الله به وقد كان رداً ملائماً لعناده واستكباره

وهذا الرد المذكور في مواطن عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿قَالَ

فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى

يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَاتَبْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ

أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿الأعراف: ١٣-١٨﴾.

ثانياً: المشركون:

نزل القرآن الكريم على محمد - صلى الله عليه وسلم - في وقت

ضرب الشرك بأطنابه أرجاء المعمورة، فأخذت تموج بالخرافات والوثنيات

من عبادة الأصنام والكواكب والجن والملائكة وغيرها ومن هنا أخذ

القرآن الكريم يرد عليهم ويدعوهم إلى الحق - إلى عبادة الله وحده دون ما

(١) انظر: بدائع الفوائد: ٢/٤٣٨-٤٤٣، واستخراج الجدل: ٦٠.

سواها - وسلك في هذه الدعوة سبلاً ووسائل شتى ليس هذا مقام حصرها
لذا سأكتفي بنماذج من القضايا التي ردّ عليهم فيها:
أولاً: قضية التوحيد^(١):

وهي الأساس فالقرآن كله ردّ عليهم في هذه القضية التي خالفوا
فيها، ومن ردود القرآن الكريم عليهم فيها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُۥٓ ۗ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِیْنٌ ﴿۱۱۶﴾ ۗ بَدِیْعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ وَاِذَا قَضٰی اَمْرًا فَاِنَّمَا
یَقُوْلُ لَہٗ کُنْ فَاَیْکُوْنُ ﴿۱۱۷﴾ [البقرة: ۱۱۶-۱۱۷].

- وقوله تعالى: ﴿ یٰۤاَیُّهَا النَّاسُ اَعْبُدُوْا رَبَّکُمْ الَّذِیْ خَلَقَکُمْ وَالَّذِیْنَ مِنْ قَبْلِکُمْ
لَعَلَّکُمْ تَتَّقُوْنَ ﴿۱۱﴾ الَّذِیْ جَعَلَ لَکُمُ الْاَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَآءٍ ۗ وَاَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَآءً فَاَخْرَجَ بِهٖ مِنْ الشَّجَرٰتِ رِزْقًا لَّکُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوْا لِلّٰہِ اَنْدَادًا وَاَنْتُمْ
تَعْلَمُوْنَ ﴿۲۱﴾ [البقرة: ۲۱-۲۲].

- وقوله تعالى: ﴿ لَہٗ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِیْنَ یَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِہٖ لَا یَسْتَجِیْبُوْنَ لَہُمْ بِشَیْءٍ اِلَّا
کَذِبًا ۗ کَفِیْہِ اِلَى الْمَآءِ لَیْبَغُ فَاهُ وَمَا هُوَ بِیَبْلِغُہٗ ۗ وَمَا دَعَا الْکٰفِرِیْنَ اِلَّا فِی ضَلٰلٍ ۗ ﴿۱۴﴾ [الرعد: ۱۴].

- وقوله تعالى: ﴿ یٰۤاَیُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوْا لَہٗ ۗ اِنَّ الَّذِیْنَ
تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰہِ لَنْ یَخْلُقُوْا ذُبَابًا وَّلَوْ اَجْتَمَعُوْا لَہٗ ۗ وَاِنْ یَسْلُبْہُمُ الذُّبَابُ
شَیْئًا لَا یَسْتَنْقِذُوْہُ مِنْہٗ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوْبِ ﴿۷۳﴾ [الحج: ۷۳].

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: ۱۳۷-۳۰۲.

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُوْتِينَا قُلْ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧١]. وغير ذلك من الآيات كثير جداً.
ثانياً: قضية البعث والنشور:

استبعد المشركون أن يبعثوا بعد الموت أيما استبعاد، وأنكروا ذلك وتعجبوا منه وقد صور القرآن الكريم هذا الإنكار منهم، قال تعالى: ﴿ قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ١-٣].

ومن الآيات التي ردّ الله بها تعالى عليهم في هذه القضية قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُعِى الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحٰنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٧٧-٨٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفُنًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۝٥١ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥١].

قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢]. إلى آخر الآيات التي ردّ الله بها تعالى عليهم في إنكارهم للبعث.

ثالثاً: قضية بشرية الرسول - صلى الله عليه وسلم -:

تذرع المشركون في إنكار نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ببشريته وقد نقل القرآن الكريم هذا عنهم في مواضع عدة منها: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَىٰ اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ [التغابن: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ [الإسراء: ٩٤].

وقد ردّ عليهم القرآن في مواطن عديدة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَسِّحُونَ مِطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ [الإسراء: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١١١﴾ [إبراهيم: ١١١]. وما رد القرآن عليه من قضايا المشركين كثير جداً، ولعل فيما سبق كفاية في الدلالة على رده عليهم وإبطال ضلالاتهم.

ثالثاً: اليهود:

لم تحظ ملة من الملل ولا قوم من الأقوام بالحديث عنهم بمثل ما حظي به اليهود من الشمول والتفصيلات في القرآن الكريم^(١).

وليس هذا مقام حصر لما ذكره القرآن الكريم عنهم، ولا حصر لردوده عليهم وعلى مخالفتهم، ولكن سأذكر بعضاً من ردوده عليهم ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢) وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينِكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ٧٢ - ٧٤].

- وقوله تعالى: ﴿ يَتَّأْهِلِ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ءَأَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥) هَتَأْتُمْ هَتُولَاءِ حَبَجَبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ ءَعِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ ءَعِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَتَّأْهِلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّأْهِلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

(١) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود: ٣٠.

وَتَكْفُرُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٧١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُمِبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ [آل عمران: ١٨١ - ١٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ [الأعراف: ٢٨ - ٢٩].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي ردّ القرآن الكريم بها على اليهود.

رابعاً: النصارى:

كان للنصارى أيضاً من تخصيص القرآن الكريم لهم بعض الردود خطأ ليس بالقليل، فقد تعرض لكثير من عقائدهم وبين فسادها بل وكفر أهلها ومن تلك الآيات:

- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٢﴾ [المائدة: ٧٢-٧٣].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩-٦١].

- وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ [النساء: ١٧١-١٧٢].

- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَانلَهُمُ اللَّهُ أَنْفِي يُؤْفِكُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ

كَمَا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى
اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿التوبة: ٣٠-٣٢﴾.

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ
دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿آل عمران: ٦٤﴾.

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿الصف: ٦-٧﴾.

إلى آخر الآيات الكثيرة التي ردّها القرآن على مفتريات النصارى
وشبهاتهم.

خامساً: المنافقون:

وهم صنف لم يكن موجوداً عند ابتداء نزول القرآن الكريم، لأنهم لم
يظهروا في الإسلام إلا في العهد المدني، ومن حين ظهورهم تولى القرآن
الكريم الرد على شبهاتهم وكشف نواياهم الخبيثة حتى لا يتأثر بهم بعض
المسلمين ومن تلك الردود التي ردّها القرآن الكريم على المنافقين ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ

هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامِنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِحَدِيثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿البقرة: ٨-١٦﴾.

- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿آل عمران: ١٥٤﴾.

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْعِ الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنِتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٣٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿آل عمران: ١٦٦-١٦٨﴾.

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا

الْخُرُوجَ لِأَعْدَائِهِ لُهُ عُدَّةٌ وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ
 أَفْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا
 وَلَا أُضْعَفُوا لَكُمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 بِالْظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
 جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُوا ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ
 أَتُذَنِّبُنَا وَلَا نُنَاقِشُكُمُ الْآيَاتِ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
 بِالْكَافِرِينَ ﴿[التوبة: ٤٥-٤٩].﴾

-وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا
 وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ... الْآيَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

-وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ
 أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
 وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وغيرها من الآيات في هذه السورة التي فضحت خبث المنافقين وسوء
 نياتهم حتى سميت بسورة الفاضحة لكثرة ما ذكرت عنهم وعن صفاتهم.

الخاتمة

- وفي خاتمة هذا البحث أحمد الله جلّ وعلا الذي وفق لاختياره ويسر وأعان على الكتابة فيه فله الحمد جلّ وعلا أولاً وآخرأً.
- ومن الأمور التي يحسن أن تذكر في خاتمة هذا البحث ما يلي:
- ١- أن الدين الصحيح كما يقوم على تقرير العقيدة فهو أيضاً يقوم على الرد على المخالف، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، والقرآن الكريم خير شاهد على ذلك، فهو مليء بالآيات المقررة للعقيدة الصحيحة وأيضاً بالآيات التي ترد على شبه المخالفين وتبطلها كما سبق في هذا البحث.
 - ٢- أن الانتماء الحق لأهل السنة والجماعة يقتضي الالتزام بمنهج المصدر الأول عندهم - القرآن الكريم - في كل الأمور، ومنه الرد على المخالفين وخصوصاً من قبل علماء أهل السنة والجماعة.
 - ٣- أن القرآن الكريم ردّ على أصناف عدة من المخالفين في الاعتقاد، في قضايا وشبهات متعددة ومختلفة.
 - ٤- أن البراهين والحجج التي ردّ بها القرآن الكريم على المخالفين في الاعتقاد، اشتملت على ما فطرت عليه النفوس، وشهدت بصحته العقول، مع روعة البيان وسلامة المنطق، مما يسر فهمها لخاصة الناس وعامتهم لأنها تخاطب الناس كافة.
- وقد بينت في هذا البحث أربعة عشر سبباً لاختيار منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين في مسائل الاعتقاد دون غيره من المناهج الكلامية والفلسفية.

وذكرت جملة من الأساليب والطرق والوسائل التي ترسم المنهج
القرآني في الرد على المخالفين، بلغت ثمانية وعشرين وجهاً.
ثم ختمت البحث بذكر جملة من الطوائف المخالفة في الاعتقاد الذين
ردّ عليهم القرآن الكريم ودللت على الرد على كل طائفة بعدة آيات.
أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما سطرته في هذا البحث وأن
يكون ذلك خالصاً لوجهه الكريم، واستغفره تعالى عما قد يكون وقع فيه
من جهل أو سهو أو خطأ.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- القرآن الكريم:
- الإتيقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق - بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ.
- أدب الحوار والمناظرة: علي جريشة، دار الوفاء، ط/ الثانية ١٤١٢هـ.
- استخراج الجدل من القرآن الكريم: عبد الرحمن بن نجم الحنبلي، تحقيق: زاهر الأملعي، ط/ الثانية ١٤٠١هـ.
- الاستقامة: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: كوكب عامر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
- أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً: عبد الغني محمد بركة، مكتبة وهبة، ط/ الأولى ١٤٠٣هـ.
- أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط/ الثانية ١٤١٤هـ.
- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط/ الأولى ١٤٢٤هـ.

- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية: يسرى السيد محمد، دار ابن الجوزي، ط/ الأولى ١٤١٤هـ.
- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد الرياض و مكتبة دار البيان، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.
- البدع والنهي عنها: ابن وضاح، تحقيق: محمد دهمان، دار الصفا، ط/ الأولى ١٤١١هـ.
- البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار عالم الكتب ١٤٢٤هـ.
- بيان تلبيس الجهمية: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، ط/ الأولى ١٣٩٢هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد الكلبي، دار الكتاب العربي، ط/ الرابعة ١٤٠٣هـ.
- التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، ط/ الأولى ١٤١٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم وغيره، دار الشعب.
- التفسير الكبير: محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى ١٤٢١هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/ الأولى ١٤١٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

- الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: أحمد بن عبد الرحمن الصويان، دار الوطن الرياض، ط/ الأولى ١٤١٣هـ.
- الحوار مع أهل الكتاب: خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم الرياض، ط/ الأولى ١٤١٤هـ.
- درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط/ الأولى ١٤٠١هـ.
- الرد على المخالف من أصول الإسلام: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الهجرة، ط/ الثانية ١٤١١هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط/ ١٤١٥هـ.
- السنة: لابن أبي عاصم، تحقيق: الألباني المكتب الإسلامي، ط/ الثالثة ١٤١٤هـ.
- السنة: لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار الرمادي للنشر، ط/ الثانية ١٤١٤هـ.
- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: خالد السبع وآخرون، دار الكتاب العربي، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: لهبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد حمدان، دار طيبة الرياض.
- شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز، تحقيق: التركي والأرناؤوط، الرسالة ط/ الأولى ١٤٠٨هـ.
- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط،

- مؤسسة الرسالة، ط / الثانية، ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول - تركيا.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، ط / الأولى ١٤١٢هـ.
- الصواعق المرسلّة: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، ط / الثالثة ١٤١٨هـ.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، دار ابن تيمية، الرياض.
- العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية: عبد الله بن يوسف الجديع، دار الإمام مالك، دار الصميعي، ط / الثانية ١٤١٦هـ.
- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
- فقه التعامل مع المخالف: عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الوطن، ط / الأولى ١٤١٥هـ.
- القاموس المحيط: الفيروز أبادي، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، ط / مؤسسة الرسالة.
- القواعد الحسان: لعبد الرحمن السعدي، طبع بموافقة إدارة البحوث العلمية ١٤٠٨هـ، مطابع الصائغ.
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وبيان ما وقع فيها بسبب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة: محمد بن أحمد بن رشد، دار

- الآفاق الجديدة، ط/ الأولى ١٣٩٨ هـ.
- لسان العرب: لابن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير وغيره، ط/ دار المعارف.
 - مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ.
 - مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع ابن قاسم، دار عالم الكتب، ١٤١٢ هـ.
 - المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة: إبراهيم بن محمد البريكان، دار السنة الخبر، ط/ الثالثة ١٤١٥ هـ.
 - المصباح المنير: لأحمد الفيومي، ط/ المكتبة العلمية بيروت، لبنان.
 - مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط/ الأولى ١٤٠٩ هـ.
 - معالم قرآنية في الصراع مع اليهود: مصطفى مسلم، دار المسلم، ط/ الأولى ١٤١٥ هـ.
 - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، ط/ دار المعرفة بيروت، لبنان.
 - الملل والنحل: للشهرستاني، تحقيق: أحمد فهمي، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى ١٤١٠ هـ.
 - مناهج الجدل: زاهر عواض الألمعي، ط/ الثالثة ١٤٠٤ هـ.
 - مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ط/ الأولى ١٤١٦ هـ.
 - المنهاج القرآني في التشريع: عبد الستار فتح الله سعيد، ط/ الأولى ١٤١٣ هـ.

- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان علي حسن، مكتبة الرشد، ط / الثالثة، ١٤١٥هـ.
- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن، دار إشبيلية، ط / الأولى ١٤٢٠هـ.
- المهذب في علم أصول الفقه المقارن: عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، ط / الأولى ١٤٢٠هـ.